

# أول بلد في العالم القديم كان في سبيل الحرية والاستقلال



بقلم: د. باهور لبیب

وتعرف ببردية ( ساليه (٣) ، وتذكر لنا هذه القصة ان سقن رع كان حاكما على اقليم طيبة يعاصره ملك من الهيكسوس يدعى ابوفيس وان سقن رع دعا قواده لمحاربه وهنا سقط الاصل في البردية ولم تكمل القصة ، الا اننا نعلم ان مومياء سقن رع وجدت وبها جروح نتيجة ضربات مميته سقط على اثرها صريعا في ميدان القتال ، ثم انقذ احد قواده جثته ( وهي الآن محفوظة بالمتحف المصري ) وهو يدافع عن حرية بلاده ويقاوم في سبيل استرجاع استقلالها .

٢ - الدور الثاني في عصر كامس :

اما الدور الثاني من ادوار حزب الهيكسوس فنعتمد في معرفته على ما ورد في لوحة خشبية معروفة بلوحة كارنار فون وكتب عليها بالهيراطيقية ان كامس جمع قواده وواصل الحرب التي دارت بين الهيكسوس وبين والده سقن رع وتقدم حتى شمال الاشمونين .

(ب) وقد ايدت الحفائر التي قام بها شيفريه في الكرنك ما ذكرته لوحة كارنار فون .

( ج ) ثم اكتشف اخيرا الدكتور محمد حماد في معبد الكرنك حجرا أثريا (٣) وعليه بعض النصوص الهروغليفية التي تفيد ما دار من معارك في عهد كامس ، وهذا الحجر بلا شك النسخة الاصلية لقصة هذا البطل المكافح وتؤيد ما ذكرته النصوص الاخرى المتأخرة عن عصره .

٣ - الدور الثالث - عصر احمس :

ويبدأ الدور الثالث والآخر في هذه الحرب التحريرية الاولى في تاريخ العالم عندما توفي كامس وتولى بعده بطل تحرير مصر احمس الاول الذي اتم رسالة ابيه سقن رع ورسالة اخيه الاكبر كامس ، فطرد احمس الغزاة واجلاهم عن البلاد نهائيا كما حدثتنا بذلك ترجمة حياة رجلين من كبار رجال الجندية في عصر احمس واولهما هو احمس بن ابانا وثانيهما بن نخبت .

ومن الطريف انه بعد انتصار احمس على الهيكسوس في عاصمتهم اورايس ( حات وعرة ) فقد اقتصى اثرهم متجها نحو الجزء الشمالي من صحراء سيناء لانه لم يشأ أن يترك

حوالي سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد استولى الهيكسوس (١) على جزء كبير من مصر (٢) وظل الاجنبي يستعمر هذا الجزء من وادي النيل قرنا ونصف قرن تقريبا ، الى ان شعر المصريون بوجود الاتحاد وبالكفاح في سبيل الحرية والاستقلال ، فتمكنوا من طرد المستعمر حوالي سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد بفضل جيش قوى يؤيده شعب متحد .

وقد طارد المصريون المحتلين ، من مصر ، بحرب لعلها هي اكبر حرب قامت بها مصر في تاريخها القديم في طلب الحرية والاستقلال والقضاء على الاحتلال الاجنبي ، وتعتبر هذه الحرب اول حرب عرفها العالم في سبيل التحرير . وقد جازت مرحلة مطاردة الهيكسوس من مصر ادوارا عديد أهمها :

١ - الدور الاول في عصر سقن رع الملقب من ( اى الشجاع )

ومرجعنا العلوي الوحيد ما ورد ضمن احدى القصص التي لاكتها الاسن في زمن الرعامسة ودونت بعد خروج الهيكسوس في بردية محفوظة حاليا في المتحف البريطاني

اذ اثبتت بعض الانار التي اكتشفتها البعثة ان الهيكسوس اقاموا في مقرهم بالضبعة وانهم احتفظوا بعاداتهم الاسيوية مثل عادة حرق الاطفال قبل أن يكتسب الهيكسوس العادات المصرية ويتطبعوا بطباع المصريين .

(٢) وقف تقدم الهيكسوس عند منطقة اسيوط .

(٣) كان من أهم ما يعنى به القدماء بعد قيامهم

بحروبهم التي سجلوا بها في التاريخ أروع الانتصارات ان يبادروا حال عودتهم الى مقرهم طافرين ، بأن يذيعوا على الشعب بمختلف الطرق اخبار تلك الحروب وما دار خلالها من المعارك وما أحرزوه في تلك المعارك من انتصارات بتدوينها على لوحات حجرية في المعابد حتى تقع تحت أبصار اكبر جانب ممكن من الشعب الذي يؤم هذه المعابد ، فكانت والامر كذلك بمثابة الصحف السيارة في هذه الأيام .

(١) عندما ضعفت مصر نتيجة التناحر على الحكم والانقسام داهمها العدو الاسيوي المعروف في التاريخ باسم الهيكسوس وقد جاءت احوال مصر السيئة مواتية للغزاة في وقت كان الضغط عليهم في بلادهم يزداد شدة ويدعو الى هجرتهم نتيجة لاغارات حلت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد .

ويشوب معرفتنا بعصر الهيكسوس ظلال لا سيما عن عاصمتهم اورايس ( حات وعرة بالصرية القديمة ) التي اختلف العلماء في تحديد مكانها ( هل هي مكان صنان الحجر - ( تانيس ) أو قنتير أو تل ( الضبعة ) ، وعن عاداتهم الاسيوية التي لم يظهر للآن في مصر ما يشير اليها الا انارا يسيرة لا تكفي لمعرفة عاداتهم . لذلك كان للحفائر التي تجريها البعثة النمساوية في بلدة تل الضبعة أهمية خاصة

## تقرير

عن حفائر البعثة النمساوية في منطقة  
تل الضبعة شرق الدلتا موسم ٦٦/٦٧  
عن عاصم الهكسوس  
ترجمة: د. عبد المنعم أبو بكر

منذ العصور المبكرة من التاريخ المصري كانت الدلتا مسرحاً لأحداث كثيرة مختلفة ، إذ أنها كانت الصلة بين مصر والشرق الأوسط من ناحية ، وبين ليبيا من ناحية أخرى إذ كانت تصب منها طوق القوافل التجارية التي كانت تأتي إلى مصر من الشرق والغرب ، كما كانت الدلتا منطقة تطورت فيها مراكز كثيرة للعبادة نذكر منها على سبيل المثال سانس ، وبوتو ، وأوزيرس ، ومندس وغير هذا . فمن المعروف أن الدلتا كانت مسرحاً لعدد من الغزوات تأتيها تارة من الغرب حيث حاولت القبائل الليبية أن تستقر فيها . وكانت تأتيها تارة أخرى قبائل أسيوية ، وفي نهاية الأمر كانت الدلتا مسرحاً لمعارك كثيرة حاول بها ملوك مصر العليا أن يحققوا وحدة سياسية وظهروا في التاريخ تحت اسم ملوك الأسرة الأولى الفرعونية وبدأوا عصراً جديداً هو العصر التاريخي لمصر ، ومن حقنا أن نعتقد أن كل هذه الأحداث لا بد أن تكون قد تركت آثاراً لها في هذه المنطقة وبالتالي نأمل أن يعثر العلماء على آثار مختلفة للدلتا لعلها تنير أمام العلم بعضاً من الظلمات التي لا تزال تخيم على حقبات كبيرة من التاريخ المصري .

لقد بقيت الدلتا فترة طويلة دون نشاط للدراسات العلمية نظراً لتهاافت البعثات على مناطق مصر العليا التي تكافى بسرعة العاملين فيها بآثار وتحف ثمينة ، ونحن نعتقد أنه قد حان الوقت لأن تستمر أعمال الحفر في هذه المنطقة المهمة خاصة وأن ظروفها سوف تجعل مستويات المياه الباطنية تنذب بين الصعود

الهيكسوس على حدود مصر فيهدونها بخطر دائم ، لذلك فقد تعقبهم بعد الحدود المصرية حيث التحم معهم في عدة مواقع من أهمها موقعه شاروون فحاصر احمس هذه المدينة وكان هذا أول حصار يضربه جيش من الجيوش على مدينة . وقد انتهى الحصار بتخليم مدينة شاروون على يد الجيش المصري بقيادة احمس (٤) .

وكما كانت هذه المعركة خاتمة حرب الاستقلال المصري من الغزاة فقد كانت بداية للسياسة الحربية في تاريخ مصر العسكري .

فمنذ ذلك الحين أخذ نجم مصر يتلألأ في أنحاء العالم المعروف كله لا سيما في بلاد الشرق القديم والفضل في ذلك لوجود جيش قوى مزود بأحدث المعدات في ذلك الوقت إذ أدخلت المركبات الحربية التي تجرها الخيول والتي أخذ المصريون نظامها عن الهيكسوس ولكن المصري تفوق بعد ذلك في استخدامها ، فبد في ذلك اصحابها ، فأصبح الجيش المصري يحتوى على فرق من المركبات إلى جانب فرق المشاة والبحارة مما يدل على قابلية المصري منذ تلك العهود السحيقة للتأثر بالافكار والمبتكرات الحديثة لغيره من أبناء الدول الأخرى حتى وإن كانت من دول الأعداء ، وذلك هو أحد العوامل المساعدة على النجاح في بناء الدول .

وبهذه المناسبة نقول : لعل الجندي المصري القديم هو أول من نفخ في البوق في النداءات العسكرية وأول من دق على الطبل لتنظيم المتى في المناورات الحربية بغطاوات عسكرية واحدة بل لعل الجندي المصري هو أول من ابتدأ السير في الاستعراضات العسكرية بالقدم اليسرى أي كما هو متبع في الجيوش الحديثة ، وهذا الجيش العظيم كان يؤيده شعب متكاتف متجدد ولهذا السبب فضلت تسمية تلك الفترة التي بدأت بهذا النصر على يد احمس وبعض وحدة مصر الثالثة (٥) خلافاً للتسمية الأخرى المعروفة بعصر الدولة الحديثة .

فما أحوج مصر اليوم إلى أن تتمثل بالماضي الجيد وتستمد من وقائعها عبرة تستلهم منها ما يجدر بها من نصر .

(٤) وما يؤسف له أن مقبرة احمس لم تكشف حتى الآن رغم أن مومياء وجدت في خبيثة الدير البحري حالياً بالمتحف المصري

وارجو تحقيق كشف مقبرة أول محرر أرض الكنانة من الغزاة الغاضبين في جبانة طيبة الغربية ( منطقة ذراع أبو النجا )

(٥) اقرأ في هذا نظريتنا التي نقول بها . مخالفين سائر علماء التاريخ والآثار من تقسيم تاريخ مصر القديم حسب ما طرأ على مصر في عصورها السالفة من وحدة أو تفكك ، وهي النظرية التي سجلناها أول مرة في مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٤٢ ثم أوردناها في كتابنا «المحاث من الدراسات المصرية القديمة سنة ١٩٤٧» .